







تصفح العدد

عنوان المقالة: وقفة مع الدكتور نوري جعفر

بقلم: صبري هادي الوائلي

رقم العدد: 1

تاريخ الإصدار: 1 يناير 1976

عدد المشاهدات: 85

← العودة لمقالات العدد

الدكتور نوري جعفر

بقلم
صبري هادي الوائلي
عبدالعباس جواد السريح

لقد عالج الدكتور نوري جعفر مواضيع هامة في دراساته الاخيرة، فمعالجته لعلاقة اللغة والفكر وكتابه (الفكر طبيعته وتطوره) ، ثم كتابه الهام طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف » هي بحق دراسات رائدة اذ لم يتناول هذه الموضوعات واحد من الباحثين قبله بمثل هذا الاتساع والفيض

ونحن في الواقع بامس الحاجة الى معرفة المدارس النفسية والفكرية التي تستجد في العالم فاجواؤنا خالية من المعنى والابداع والمامنا بما عند الغير يهون علينا الحاجة ويخفف من عوزنا ! .

الدكتور نوري جعفر يمنح في دراسته الحديثة من منابع المدارس الاشتراكية ، وبالتحديد يستمد معينه من مدرسة بافلوف والواقع ان الذي كتب حول هذه المدرسة بالعربية قليل ومبتسر ولعل الدكتور نوري جعفر كان السباق في الاطاله والشرح لاسس هذه المدرسة الشهيرة .

والمعتقد الذي يعمد الدكتور نوري جعفر ان يوضحه ويقف عنده طويلا هو موضوع الذكاء البشري وفيما اذا كان فطريا او مكتسبا ؟ !

فمن المعلوم ان هناك اتجاهين متباينين في دراسة هذا الموضوع ، يتجه الاول الى القول بوجود ذكاء فطري يمكن صاحبه من العطاء والابداع والعبقرية فالفروق الفردية امر قائم حاصل لا مجال لمناقشته بسبب امتلاك كل فرد قدرة من الذكاء فطريه تختلف من فرد الى اخر وتنسحب هذه النظرة على الاجناس البشرية حيث تصنف الى اجناس ذكية مبدعة واخرى بليدة لا تستطيع ان تنهض بالابداع والعطاء والاختراع.

واما الاتجاه الثاني وهو ما يأخذ به استاذنا الدكتور فيرى غير ما يرى اصحاب الاتجاه الاول ، فالناس متساوون في قدراتهم العقلية اذا امتلكوا جهازا عصبيا سليما معافى ، وتتأثر امكانيات الفرد بالبيئة الاجتماعية والطبيعية ، وبثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ، وعلى نوع التفاعل الذي يمارسه الشخص في حياته اليومية المعتادة ، فالذكاء ليس ظاهرة فطرية وانما ظاهرة اجتماعية مكتسبة .

يقول الدكتور نوري جعفر في كتابه « الفكر طبيعته وتطوره » :

« ... وتصبح النتيجة ذلك من قبيل الهراء وتتهافت نظرية الذكاء الفطري المزعوم والقدرات العقلية الخاصة المتحجرة من حيث هي « قوى » متكلسة تتحدى الزمان ص.٤٠ »

ويقول في مكان اخر من نفس الكتاب :

« ومعلوم ان مستوى تفكير الشخص او الجنس لا علاقة له بمزاياه الجسميه لانه ظاهرة بيئيه اجتماعيه ثقافية لا بايولوجيه فطريه ص ٤٤ » .

ويقول في نفس الكتاب ايضا :

« لاشك في ان علماء النفس الذين يفسرون اختلاف مراكز الافراد والفئات الاجتماعية والامم والاجناس على اسس بايولوجية فطرية مزعومة من ناحية« كمية الذكاء » الموجودة لدى كل منهم والتي تكشف عنها اختبارات الذكاء بالشكل الذي بيناه بعيدون كل البعد عن فهم قوانين نشوء المجتمع وارتقائه من الناحية التاريخية ص٥٥ » .

ويقول الدكتور نوري جعفر في نفس الكتاب ايضا:

« لقد اثبتت الدراسات العلمية الاصيلة ، وواقع الحياة اليومية ايضا، ان القدرات الفكرية ذاتها وان الذكاء ايضا والوظائف العقلية العليا التي نتحدث عنها في فصل اخر تنشأ وتتطور اثناء نشاط الانسان الفعلي في مجرى حياته اليومية المعتادة والمهنية ،اي انها حصيلة جوانب نشاطه الفعلي الذي يستلزمها لا بسببه او عامل حدوثه . معنى هذا انها ليست الاساس المسبق الذي يستند اليه ذلك النشاط بل هي نتاجه : ذلـــك لان الشخص عندما يمارس بشكل ايجابي واع ، مهنة معينة فان القدرات العقلية التي يستلزمها النجاح في انجازها تنشأ كما ينشأ الذكاء اثناء عملية الممارسة الموجهة الواعية ذاتها ، ولهذا فان مسألة التوجيه المهني مثلا ليست هي قضية البحث عن المؤهلات او المواهب او القدرات الخاصة الفطرية بل دراسة الظروف البيئيه المتوافرة بالفعل التي يمارس الشخص ضمن اطارها العام عمله الموجه الواعي الذي يؤدي بالضرورة الى نشوء القدرات الفكرية المطلوبة وارتقائها ص ٥٦ » .

فالذكاء والوظائف العقلية العليا تنشأ وتتطور عبر نشاط الانسان الفعلي في حياته اليومية والمهنية ، فهي ليست اساس ذلك النشاط ولا سببه ، وانما هي نتيجه وحصيله ذلك النشاط فعندما يمارس الفرد مهنه معينه فان القدرات والذكاء التي تستلزمها تلك المهنة تنشأ اثناء ممارسة تلك المهنة ، فالذكاء ظاهرة مكتسبة يكتسبها الانسان خلال الممارسة العملية في بيئته الطبيعية والاجتماعية ، فليس ثمة ذكاء فطري ، ولذلك فالفوارق الفردية من الناحية العقلية في الاساس لا وجود لها مطلقا ، والناس متساوون من حيث المبدأ بامكاناتهم العقلية وذكائهم .

ومثل هذه المفاهيم والاراء تنتشر في كتب الدكتور نوري جعفر التي اشرنا اليها وربما شكلت اراء الدكتور وغايته من تصنيفه لهذه المؤلفات .

والواقع اننا لا نناقش الدكتور نوري جعفر حول ارائه هذه ولا نجادله فيها وربما كنا اميل الى الاخذ بها، ولكن المؤسف ان هــذه الاراء التي يسوقهــا ويلح في تأكيدها وتثبيتها تتهاوى وتتهافت عندما يهب لمعالجة موضوع (الابتكار او الاصاله او الخلق او الابداع في حقل العلم وفي المجال الفني) . هذه نقطة سنقف عندها مع الدكتور الفاضل ، والنقطة الثانية التي سنناقشها مع استاذنا الدكتور هي هذا الاضطراب غير المسوغ الذي نلمحه عند الدكتور نوري جعفر عندما يبحث موضوع الابداع في حقل العلوم والفنون وستتوضح النقطة الاولى من خلال مناقشتنا للكيفية التي بها طرح الدكتور موضوعه هذا ومكمن الاضطراب فيما طرح .

موضوع الاصاله والابداع في كتابه (الفكر طبيعته وتطوره) يعلمنا مقدما في حاشية مدونة اسفل الصفحة (١٧١) من كتابه المذكور بان الـذي يذكره مستمد في الاساس من نظريات بافلوف الفسلجية وهو تلخيص مركز لارائه المعروفة في كتاب ماثل للطبع — يعني به (طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف) حيث ان هذا الكتاب الاخير لم يكن مطبوعا انذاك فقد طبع سنة ١٩٧١ بينما طبع كتاب (الفكر طبيعته وتطوره) سنة ١٩٧٠ .

ولتقرا ياسيدي القارىء هذا النص من كتاب

(الفكر طبيعته وتطوره) الذي يستمد معناه من نظريات بافلوف كما يخبرنا الاستاذ الدكتور :

« يمكننا ان نقول ، في ضوء علوم المخ المار ذكرها، ان الابتكار او (الاصاله او الخلق او الابداع في حقل العلم وفي المجال الفني) من حيث هو عملية ذهنية منظورا اليها من زاوية تركيز الانتباه لفترة طويلة من الزمن في موضوع معين ، بالاستناد الى الالمام الواسع العميق به ، هو نشاط عصبي تقوم به خلايا القشرة المخية التي بلغت اثارتها حدها الاقصى ، معنى هـذا من الناحية السلبية ، نشوء عملية عزل مخي تستدعي ، في لحظة تركيز الانتباه ، اقصاء الانطباعات الذهنية والمؤثرات البيئية الاخرى لكي تنتشر تلك الاثارة فيها ، وعندما تقترن او تتلقح او تلتقي الارتباطات العصبية في المنطقة النشطة من القشرة المخية فان ذلك يعني ميلاد الفكرة الجديدة والمبتكرة غير ان هذا الاقتران السعيد المؤقت او الخلق الذي يتم في اعقاب دراسة عميقة مستفيضة تستغرق سنين طويلة ، يحدث بشكل مفاجيء عند نضجه بين المراكز المخية الحسية المنتشرة في جميع القشرة المخية باستثناء مقدمتها كما يحدث ايضا بين المراكز المخية اللغوية الموجودة في القسم الامامي الاعلى من القشرة المخية فان حصل هذا الارتباط بين المراكز طربية او صورة شعرية رائعة قبل ان تفر من الذهن . فيتم انبثاقها في حقل الفن بما فيه الشعر في حالة حدوث الاقتران العصبي بين المراكز المخية الحسية وفي حقل العلم في حالة حدوثه بين المراكز المخية اللغوية . ويبلغ الصراع المخي اعلى مراتبه في الحالتين ، بين الخلايا المخية النشطة وبين الخلايا المخية التي مازالت باهته النور . وتظهر في مجرى هذا الصراع صفات مخية جديدة يجوز ان نسميها « مخاض الصراع » الذي يتصف به العباقرة ص ١٧١)

فموضوع الابداع اذن نشاط عصبي تقوم به خلايا القشرة المخية وقد بلغت اقصى حدها الاقصى وفي لحظة يتم فيها تركيز الانتباه تقص جميع الانطباعات والمؤثرات الاخرى من خلايا القشرة المخية لتنتشر فيها الاثارة المذكورة . فتلتقي الارتباطات العصبية في المنطقة النشطة من القشرة المخية فان حصل هذا الارتباط بين المراكز المخية اللغوية حصل الابداع في صنوف العلوم ، وان حصل بين المراكز الحسية حصل الابداع في صنوف الشعر والفنون الاخرى ـ ونأمل ان لا نكون قد تعسفنا في التبسيط والتوضيح .

وفي نهاية النص الذي اقتبسناه ، يدون الدكتور المؤلف حاشية في الصفحة (١٧١) من كتابه المذكور ـ الفكر طبيعته وتطوره ـ وهذا نص الحاشية :

« ينقسم الناس عموما ، من وجهة النظر الفسلجية الحديثة ـ الى ثلاثة اقسام من ناحية العلاقة بين مراكزهم المخية الحسية واللغوية ومن ناحية الصلة بين المخ وبين الاقسام الدماغية التي تجاوره وتقع اسفله. وهذا هو الاساس الفطري الفسلجي للعلماء او المفكرين والفنانين بما فيهم الشعراء ولعامة الناس . فاذا تغلبت المراكز المخيمة اللغوية على الحسية وتغلب المخ على ما تحته نشأ لدينا الاساس الفسلجي للعلماء الذين ينبغي لهم ان يستثمروا حده الاقصى في الدراسة العلمية المتخصصة ليصبح صاحبه عالما في احد فروع المعرفة العلمية . وينعكس الحال عند الفنانين ، اما اغلبية الناس فتتقارب عندهم قوة المراكز المخية اللغوية مع قوة المراكز الحسية ، وقوة المراكز المخية هنا تعني كثرة عدد خلاياها وان المراكز المخية الحسية اللغوية تجعل صاحبها يدرك الطبيعة والمجتمع ادراكا حسيا على هيئة صور حسية حية وفضفاضة ويتعامل مع الظروف البيئية المحيطة بعواطفه الجياشة التي تقع مراكزها الدماغية تحت المخ كما سترى . كما انه يدرك العالم المحيط بارتباطاته الطبيعية باعتباره كيانا متماسكا . وينعكس الحال عند العالم الذي يتعامل مع البيئة عن طريق الرموز والمعادلات بعد تجزئتها الى عناصرها الاولية لكي يفهمها »

وهنا نجد الناس وقد انقسموا الى ثلاثة اقسام استنادا للاساس الفطري الفسلجي لاجهزتهم العصبية من حيث العلاقة بين مراكزهم المخية الحسية واللغوية ومن ناحية الصلة بين المخ والاقسام الدماغية التي تجاوره وتقع اسفله ، فعندما تتغلب المراكز اللغوية على الحسية ، ويتغلب المخ على ما تحته نظفر بالعلماء ، اما اذا تغلبت المراكز الحسية على اللغوية فسنحصل على الاساس الفطري والفسلجي للفنانين بمن فيهم الشعراء، اما اغلبية الناس من غير العلماء او الفنانين فتتساوى عندهم قوة المراكز المخية مع قوة المراكز الحسية .

ولا ندري لماذا لا تنسب هذه الاراء المذكورة في هذه الحاشية الى بافلوف ؟ لماذا جعلها المؤلف من وجهة النظر الفسلجية الحديثة علما بانه يشير انتباهنا في الصفحة نفسها ص (١٧١) الى حاشيه يؤكد فيها انه يستمد ما يعرضه في الاساس من نظريات بافلوف . ثم انه ينسبها الى بافلوف في كتابه الثاني الذي اشرنا اليه قبل قليل (طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوب ص ٤٠٢ ـ ٤٠٦) . وان القاريء سيقع في اضطراب حتما وسيتصور ان اراء بافلوف تعتمد « على وجهة النظر الفسلجية الحديثة » التي ينقسم بها الناس من حيث الاساس الفطري الفسلجي الى اقسام ثلاثة !

ثم يعود الدكتور المؤلف الى هذه الفكرة نفسها عندما يعالج موضوع انعدام القدرة الرياضية نسبيا عند بعض الطلاب الى تغلب المراكز الحسية المخية كتابه المذكور « الفكر طبيعته وتطوره »

هل يرجع انعدام القدرة الرياضية انعداما نسبيا عند بعض الطلاب الى تغلب المراكز الحسيه المخيه

(المنظومه الاشاريه الاولى او الحسيه) عندهم على المراكز المخية اللغوية (المنظومة الاشارية) الثانيـة أو اللغوية) ؟ التغلب بمعنى انها اقوى فسلجيا او فطريا ـ وهو ما يميزمخ الفنانين عموما بمن فيهم الشعراء الذين ينفعلون اكثر من غيرهم بالطبيعه ويدركونها باعتبارهما كيانا حسيا متماسكا حيا بما فيه من حيوية وزهـو ، والاجابة بالايجاب عن هذا السؤال تعني فسلجيا ان القدرة الرياضية الموجودة لدى بعض التلاميذ دليل على تغلب الجانب المنطقي عندهم على الجانب الحسي بمعنى ان مراكزهم المخيه اللغوية اقوى فسلجيا وفطريا من مراكزهم المخية الحسية وهو ما يميز المفكرين عموما الذين يشتغلون بالنظريات العلمية المجردة في مختلـف العلوم والذين يدركون الطبيعة مفككة او مقطعة الاوصال اذ يحللونها عن طريق الرموز والمعادلات الرياضية الى اجزائها المختلفة ثم يعيدون صوغها من جديد على هيئة قوانين عامة ونظريات .

يبدو ان التفسير المذكور الذي قال به بعض علماء الفسلجة المعاصرين لا يفي بالمرام وان كان مفيـدا من بعض الوجوه . وقد استلزمت دراسة هذه الظاهـرة السايكولوجيه دراسة مستفيضة من ناحية اساسها الفسلجي نشوء تفسير اخر اكثر شمولا واوفـى مع استناده في الاساس الى العلاقة بين المراكز المخية اللغوية والمراكز المخية الحسية . غير ان هذا التفسير لا يأخذ منطلقة في الاساس من قضية تغلب المراكز المخية اللغوية على الحسية عند اصحاب القدرة الرياضية وانعكـاس الامر عند من يفتقرون الى التناسق بينهما كما هي الحال عند اغلبية الفنانين والناس بقدر ما يأخذ ذلك المنطلق والى الدرجة الاهم من ناحية مستوى تطور كل منهما (اي مستوى تطور المراكز المخية اللغوية والمراكز المخية الحسية) وبخاصة المستوى الذي تتناسق فيه قوة كل منهما بدرجاته الثلاث العليا والوسطى والدنيا . معنى هذا ان المسألة الحاسمة في هذا ليست هـي مسألة تغلب المراكز المخية اللغوية على المراكز المخيـة الحسية او بالعكس بقدر ما هي مسألة المستوى الـذي بلغه عند الطالب المتقدم بالرياضيات المحتوى اللفظي ـ المنطقي ـ لتفكيره (يعني قدرته على التعامل بالمجردات والرموز والمعادلات) .

وهنا نجد ان الفكرة التي عالجت موضوع الابداع وقسمت الناس الى ثلاثة اقسام من ناحية العلاقة بين مراكزهم الحسية واللغوية نعود لتنسب الى « بعـض علماء الفسلجة المعاصرين » فهي ليست لبافلوف ، وهي ليست (وجهة النظر الفسلجية الحديثة) وانما هـو تفسير (قال به بعض علماء الفسلجة المعاصرين) وهـذا التفسير (لا يفي بالمرام وان كان مفيدا من بعض الوجوه) والتفسير الذي يلجأ اليه المؤلف لمعالجة موضوع التفوق في الرياضيات والعلوم او الفنون لا يتعلق بتغلب المراكز المخية اللغوية على المراكز المخية الحسية او بالعكس بقدر ما يكون منطلقه في تفسير التفوق والابداع الى (مستوى تطور المراكز المخية اللغوية والمراكز المخية الحسية) .

ولكننا نسأل الدكتور فيما اذا كان هـذا التطور في مستوى المراكز اللغوية والحسية مكتسبا او فطريـا ؟ ثم اننا لا ندري من هو صاحب هذا الراي الذي يسوقه الدكتور نوري جعفر وما علاقته بالنزعة البابلوفيه .

ولو وقف الدكتور عند هذا الحد لما كان هناك نقد او مناقشة ولكن الدكتور يعود الى موضوعات الرياضيات والتفوق فيها وفي الصفحة (١٩٣) من كتابه المذكـور (الفكر طبيعته وتطوره . ويؤكد راي بافلوف في تفسيره لموضوع الابداع والذي وصفه (بانه لا يفي بالمرام وان كان مفيدا من بعض الوجوه) .

يقول الدكتور :

« يتضح اذن ان الرياضيات علم يستند الـى المجردات والرموز والمعادلات فلا بد اذن من النظر الى هذا العلم ايضا من زاوية انقسام الناس فسلجيا على وجه العموم من ناحية العلاقة بين الاشارات الحسيـة والاشارات اللغوية (او بين المنظومتين الاشارتين الاولى والثانية اللتين سنتحدث عنهما في فصل قادم) حيث تتغلب المراكز المخية الحسية على المراكز المخية اللغويـة عند بعض الناس ، ويحصل العكس عند بعض اخر . ومعنى هذا بلغة الرياضيات تغلب محتوى الصـور الذهنية البصرية للتفكير (اي طغيان الجانب الحسي) عند بعضهم على المحتوى اللفظي المنطقي (يعنـى على جانب المدركات العقلية عند بعض اخر) . او بالعكس وهي امور فسلجية فطرية مخية ولا صلة لها بالاكتساب أو التعلم ص (١٩٣) »

ان غلبة المراكز المخية الحسية على المراكز اللغوية او العكس قضايا فطرية ، وهي غير مرتبطة باكتساب ولابالتعليم ، اذن قضايا الابداع الفني حيث تتغلب المراكز الحسية على المراكز اللغوية أو قضايا النبـوغ العلمي حيث تتغلب المراكز اللغوية على المراكز الحسيـة استعداد فطري واساس يبني عليه تركيب الجهـاز العصبي . فالفروق الفردية امـر قائم ولا نستطيع تجاهله على الاعتبار الذي يسوقه الدكتور . والغـريب ان الدكتور نوري جعفر في نفس النص هذا يقول :

« كل هذا يجب الا يفسر على انه تكران لمبـدا الفروق الفردية التشريحية والفسلجية الموجـودة بين التلاميذ ولكنه يردعنا عن المبالغة في تقدير قيمة تلك الفروق وبخاصة اذا تذكرنا ان الاساس الفسلجي المخي للقدرات الخاصة متماثل لدى جميع الاشخاص كمـا ذكرنا ص (١٩٣) » .

ولاندري كيف يوفق الدكتور بين تقسيمه للناس على اساس قوة المراكز العصبية واعتبارهـا قضايـا فسلجية فطرية (لاصلة لها بالاكتساب او التعلم) . وبين

قوله (أن الاساس الفسلجي المخي للقدرات العقلية الخاصة متماثلة لدى جميع الاشخاص الاسوياء كما ذكرنا) .

وفي نفس النص ايضا يقول الدكتور نوري جعفر :
« فالباحث يواجه بالضرورة تصنيفا اخر فسلجيا يتعلق بخواص المنظومتين الاشاريتين ليس من ناحية علاقتهما المتبادلة حسب وانما ايضا من ناحية مستوى تطور كل منهما على انفراد ص (١٩٣) » .

وقد مر هذا التقسيم من قبل المؤلف في غير هذه الصفحة اي في الصفحة (١٩١)من نفس الكتاب (الفكر طبيعته وتطوره) عندما قرر ان تفسير البافلوفي لا يفي بالمرام . وقد تساءلنا في حينها اذا كان مستوى التطور الذي يحصل في المنظومتين الاشاريتين كل على انفراد فطريا او مكتسبا ؟ وعن علاقة هذا الراي بالنزعة البافلوفيه . ولو فرضنا اننا نعمد على تطويرها بين المنظومتين بالاكتساب فاننا سوف لا نظفر بالنبوغ باي حال من الاحوال لان الدكتور المؤلف قرر سلفا ان قوى مراكز المنظومتين المذكورتين امور فسلجية فطرية مخية ولا صلة لها بالاكتساب او التعلم .

ان الاضطراب والتناقض طبعا نتائج الدكتور واحكامه بشكل يدعو للاسف والالم واحيانا يقع ذلك في نص واحد فلتقرأ للدكتور نوري جعفر :

« كل هذا يجب الا يفسر على انه نكران لمبدأ الفروق الفردية التشريحية والفسلجية الموجودة بين التلاميذ ولكنه يردعنا عن المبالغة في تقدير قيمة تلك الفروق وبخاصة اذا تذكرنا ان الاساس الفسلجي المخي للقدرات العقلية الخاصة متماثل لدى جميع الاشخاص الاسوياء كما ذكرنا » .

لاندري ماذا يريد الدكتور نوري جعفر ان يبين لنا؟ ايريد ان يؤكد وجود الفروق الفردية وعلى اسس تشريحية او فسلجية ام يؤكد ان القدرات العقلية متماثلة لدى جميع الافراد وعلى اسس فسلجية ايضا ؟ واذا سلمنا بتماثل القدرات العقلية وعلى اسس فسلجية فلماذا لا ننكر الفروق الفردية ؟ ومثل هذا غير قليل في بحوث الدكتور ودراساته .

يبدو ان الاضطراب والتشوش الذي يقع فيه الدكتور عندما يتناول موضوعات القدرات العقلية والذكاء والفروق الفردية يعود الى انه يعمد لاخضاع النزعة البافلوفية الى متطلبات لا تستطيعها ويسحبها الى اغراض لا صلة لها بها . ولذلك نراه يلجأ الى التكرار بشكل متعسف لا يطاق فجل افكاره يعيد كتابتها مرات عديدة حتى يسبب لقارئه الملل والبرم فيما يقرأ . والواقع اننا لا نجانب الحقيقة اذا افترضنا ان الدكتور ابتعد عن النهج العلمي في عرضه لموضوعاته ، فاذا بالنتائج التي اتى على تأكيدها تتهافت وتتهاوى كما قلنا ، ان الدكتور انشغل فيمايعتقد دون ان يستطيع اقناع قارئه بذلك المعتقد. فمنهجه في عرض البافلوفية اوقع كارثة على مبدأ المساواة العقلية للافراد فاذا الناس منقسمون ثلاثة اقسام بالنسبة الى علاقة المراكز المخية الحسية واللغوية . لا بل ان الناس ينقسمون الى اربعة اقسام ، فهناك قسم (تتوازن فيه المنظومتان الاشاريتان بقوة وهم اقلية ضئيله من البشر تبرع بالعلم والفن مثل لوراندو دافنشي وكوتيه ولوموتو زوف مع تغلب بسيط نسبي لاحدى المنظومتين على الاخرى ص (٤٠٤) من كتاب طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف) هذا ما يؤكده الدكتور في كتابه المذكور .

ربما يتصور القاريء اننا ننقد الدكتور انطلاقا من عدم اقرارنا بالمساواة بين الناس من حيث قدراتهم العقلية ، وبودنا ان نوضح اننا نقصد هذا ، وانما اردنا ان نوضح ان منهج المؤلف في تناول هذا الموضوع لم يقده الى مبتغاه ، فاقراره بوجود فروق فردية وتصنيفية للناس الى اقسام ثلاثة من حيث علاقة المراكز المخية والحسية واللغوية وانواع العطاء الفكري المتباينة لهذه العلائق زعزع الحاحه الشديد على تأكيده وجود قدرات عقلية متماثلة للافراد .

ان تناول مثل هذه الموضوعات يحتاج الى كثير من الدقة والافضل ان نترجم النصوص الاصلية لعلماء النفس والفلسفة فهذا اجدى للقاريء العربي ، وعلى كل حال فللدكتور نوري جعفر كل اجلال وتقدير .